

**التصوف والحوار الديني
في عصر العولمة جوزيبي سكاتولين
اتجاه نحو تأسيس فلسفة دينية جديدة**

إعداد

د. أحمد حسن أنور حسن
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف المساعد
بكلية الآداب جامعة بورسعيد - مصر

Email: ahmed5658103@yahoo.com
DOI: 10.21608/aakj.2025.434074.2258

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٩/١٩ م

تاريخ القبول: ٢٠٢٢/١٠/٢٦ م

ملخص:

سعى المستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين (Giuseppe Scattolin) المولود عام ١٩٤٢م (المتخصص في دراسة التصوف الإسلامي) إلى تأسيس فلسفة دينية جديدة تهدف إلى مساعدة الإنسان المعاصر من مواجهة أبعاد سلبية عديدة ناتجة عن العولمة (globalization). ومن الملاحظ أن فلسفته الدينية هذه قائمة على عدة عناصر لعل أبرزها: الربط بين التصوف والحوار الديني. ومن الملفت للنظر أن كتبه ومؤلفاته التي قدم فيها فلسفته الدينية الجديدة قام بتأليفها باللغة العربية دون أن يسبق نشرها بلغة أوروبية، ومن هذا المنطلق تطرح هذه الدراسة التساؤلات التالية:

- كيف قام جوزيبي سكاتولين بإعادة توظيف مفهومى "التصوف" و"الحوار الديني" بطريقة منهجية تشكل فلسفته الدينية؟ وهل إعادة البناء - هذه - ستتنق مع طبيعة ومضمون مصطلح ومفهوم "التصوف" أم أنها ستحتوى على طريقة "إسقاطية" لا يتحملها المفهوم؟ وإذا كان سكاتولين قد كتب - على مدار ربع قرن من الزمان - مقالات وكتب عديدة ومتنوعة متخصصة في التصوف الإسلامي (باللغة العربية: دون أن تكون مترجمة من لغة أوروبية أخرى)، فكيف تم استقبال هذه المؤلفات من القراء والمتقنين والمتخصصين العرب والمسلمين؟ وهل تركت هذه المؤلفات أثراً ملحوظاً في الفكر العربي والإسلامي المعاصر؟ والتساؤل الأهم: هل فعلاً قدمت مؤلفاته محاولة تأسيسية لفلسفة دينية جديدة؟ وإن كانت الإجابة بنعم: فما هي خصائص وعناصر هذه الفلسفة؟

الكلمات المفتاحية: التصوف، الحوار الديني، العولمة، جوزيبي سكاتولين، فلسفة الدين.

Sufism and Interreligious Dialogue in the Era of Globalization

Giuseppe Scattolin: Towards Establishing a New Religious Philosophy

Dr. Ahmed Hasan Anwar

Assistant Professor in Islamic Philosophy and Sufism,
Faculty of Arts, Port Said University, Egypt

Abstract:

Italian Orientalist Giuseppe Scattolin, born in 1942 and specializing in the study of Islamic Sufism, sought to establish a new religious philosophy aimed at helping contemporary individuals confront the numerous negative dimensions resulting from globalization. It is notable that his religious philosophy is based on several elements, most notably the connection between Sufism and interreligious dialogue. Remarkably, Scattolin authored his books and writings on his new religious philosophy in Arabic without prior publication in a European language. Based on this premise, this study raises the following questions:

How did Giuseppe Scattolin employ the concepts of "Sufism" and "interreligious dialogue" in a methodological way that shaped his religious philosophy? Will this reconstruction align with the nature and content of the term and concept of "Sufism," or will it involve a "projective" approach that is not contained within the framework of the concept? Furthermore, if Scattolin had written numerous specialized articles and books on Islamic Sufism over a quarter of a century (in Arabic, without being translated from other European languages), how were these works received by Arabic-speaking readers, intellectuals, and specialists? Did they leave a noticeable impact on contemporary Arab and Islamic thought? The most important question is: Did his works truly present an initiatory attempt to establish a new religious philosophy? If the answer is yes, what are the characteristics and elements of this philosophy?

Keywords: Sufism, interreligious dialogue, globalization, Giuseppe Scattolin, religious philosophy.

مقدمة:

إذا كانت الحركة الاستشراقية قد اهتمت اهتمامًا ملحوظًا بدراسة التصوف الإسلامي، فإن الجديد الذي ستحاول هذه الورقة البحثية تقديمه هو: رصد قواعد الترابط بين: (التصوف)، و(الحوار الديني)، و(العولمة)، من أجل محاولة بناء أو تأسيس فلسفة دينية جديدة تمكن الإنسان المعاصر من مواجهة مختلف الأبعاد السلبية الناتجة عن العولمة (globalization). هذا بالضبط ما حاول المفكر الإيطالي المعاصر الأب جوزيبي سكاتولين Giuseppe Scattolin (١٩٤٢م -) طرحه وتقديمه بعد رحلة حياته (الشخصية والبحثية والأكاديمية) في الشرق لأكثر من نصف قرن.

والجدير بالذكر أن التجربة "الشخصية والعلمية" للمستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين، تستحق من الباحثين - خاصة العرب - الاهتمام والتأمل والدراسة والبحث، فما الذي يدفع راهب كاثوليكي إيطالي إلى أن ينفق عمره كله في: دراسة اللغة العربية، ثم دراسة التصوف الإسلامي، ثم كتابه مؤلفاته العلمية في السنوات الأخيرة باللغة العربية مباشرة؟ فهل هدف إلى تبني فلسفة حوارية مع الآخر (المسلم - العربي)؟

فروض وإشكاليات وتساؤلات الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة مجموعة من الفروض والإشكاليات الأساسية والفرعية؛ من ضمنها:

- هل قام جوزيبي سكاتولين بإعادة بناء مصطلح "التصوف" بآلياته ومنهجيته وأفكاره المختلفة من أجل إعادة توظيفه بطريقة جديدة ضمن فلسفته الدينية؟ وإن كان الأمر كذلك: فهل إعادة البناء - هذه - ستتنفق مع طبيعة ومضمون مصطلح ومفهوم "التصوف"؟ أم أنها قد تحتوى على طريقة "إسقاطية" لا يتحملها المفهوم؟
- إذا كانت المقالات والكتب التي تناولت موضوع: "الحوار الثقافي والحضاري والديني" كثيرة ومتعددة، فهل قدم سكاتولين معاني وأفكار جديدة لملف "الحوار"؟

وإن كانت الإجابة بنعم: فما أبرز معالم رؤيته الحوارية؟ وما الهدف منها؟ وما النتائج التي أثمرت عنها؟

- **والتساؤل الأهم:** هل فعلاً قدمت مؤلفات سكاتولين محاولة تأسيسية لفلسفة دينية جديدة؟ وإن كانت الإجابة بنعم: فما خصائص ومكونات وعناصر هذه الفلسفة؟

تلك هي الفروض والإشكاليات والتساؤلات التي تحاول هذه الورقة البحثية مناقشتها واكتشافها، مع الأخذ في الاعتبار أن الإجابة على هذه التساؤلات قد تظهر بصورة غير مباشرة في ثنايا مضمون التناول كل في موضعه.

منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على عدة إجراءات منهجية مستوحاة من المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي، كما أننا سنستعين بما يمكننا تسميته إجرائياً بـ "قراءة القراءة" بهدف اكتشاف آلية توظيف المصطلحات والأفكار المركزية بطريقة مختلفة وجديدة، ومن ثمّ قد تساعد تلك الإجراءات المنهجية في اكتشاف الرؤية الكلية لخطاب سكاتولين وآلياته البنائية التي قد تشكل ما يمكن تسميته بـ "فلسفة دينية جديدة".

عناصر الدراسة:

- ١ - مؤلفات جوزيبي سكاتولين "رؤية تحليلية".
- ٢ - المصطلحات والمقولات الرئيسية المركزية في فكر جوزيبي سكاتولين.

١-٢: التصوف.

٢-٢: الحوار.

١-٢-٢: حوار الإنسان مع الإنسان.

٢-٢-٢: حوار الإنسان مع الطبيعة.

٣-٢-٢: الإطار التطبيقي للحوار.

٢-٣: العولمة.

٢-٣-١: بين التسويقية العالمية والتكتل الثقافي.

٢-٣-٢: التشظّي الأخلاقي - الديني.

٢-٣-٣: صحوّة القبلات المحدثّة من.. عِرْقِيَّة وثقافية ودينية.

٣- الأبعاد التأسيسية لفلسفة دينية جديدة عند جوزيبي سكاتولين.

٣-١: التأكيد على مبدأ التعددية الدينية.

٣-١-١: التعددية الدينية ومتطلباتها.

٣-١-٢: التعددية الدينية: ظاهرة إيجابية أم سلبية؟

٣-١-٣: التعددية الدينية: بين الهوية والغيرية.

٣-٢: مستقبل الدين أو دين المستقبل "أربعة متطلبات أساسية إزاء كل دين

في عصرنا".

٣-٢-١: معاودة الرسالة الأصلية لكل دين.

٣-٢-٢: مواجهة الحداثة المعاصرة.

٣-٢-٣: الحوار مع الأديان الأخرى.

٣-٢-٤: الالتزام بالعدالة في العالم.

٣-٣: التصوف والأفق الوجودي الإنساني.

٤- الخاتمة.

١ - مؤلفات جوزيبي سكاتولين "رؤية تحليلية":

هو الراهب الكاثوليكي جوزيبي سكاتولين المولود عام ١٩٤٢م بشمال إيطاليا، بدأ بدراسة اللغة العربية بجامعة ماريوسف ببيروت التي حصل منها على الدبلوم في الدراسات العربية عام ١٩٧١م، ثم انتقل إلى القاهرة ليحصل على ليسانس الآداب في اللغة العربية من جامعة القاهرة (فرع الخرطوم) عام ١٩٧٨م. إلا أنه في ذات التوقيت نجح في إعداد أطروحة دكتوراه في موضوع صعب ومتميز جدا "التجربة الصوفية عند الشاعر المصري عمر بن الفارض"^(١). وبعد ذلك اتجه إلى التركيز في دراساته على التصوف الإسلامي، فنشر ثلاثة مجلدات باللغة الإيطالية بعنوان: "التجربة الصوفية في الإسلام"^(٢)، ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة "الإسلام والعولمة"^(٣)، و"الله والإنسان في الإسلام"^(٤)، و"الإسلام والحوار"^(٥) ونشرت هذه الكتب باللغة الإيطالية في بولونيا عام ٢٠٠٤م.

ويمكننا القول أنه بدءاً من عام ٢٠٠٤م حدث تحول نوعي في كتابات سكاتولين المرتبطة بالتصوف الإسلامي، فبعد أن كان يكتب مؤلفاته باللغات الأوروبية (الإيطالية، والإنجليزية، والألمانية، والفرنسية) بدأ يتجه إلى التأليف المباشر باللغة العربية؛ وهذه ظاهرة نادرة في الاستشراق المعاصر، أن نجد مستشرق أوروبي يكتب مباشرة باللغة العربية، ومعنى ذلك أنه يستهدف مخاطبة القارئ والمثقف العربي بشكل مباشر.

ومن أبرز مؤلفات سكاتولين باللغة العربية: تحقيقه لديوان عمر بن الفارض^(٦) باللغة العربية عام ٢٠٠٤م، وقد وصف فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب (شيخ الأزهر الشريف) هذا التحقيق قائلاً: "جوزيبي سكاتولين: أحد كبار المغردين في دوحة الشاعر الصوفي المصري سلطان العاشقين: ابن الفارض، وله أيادٍ بيضاء في تحقيق ديوانه وإخراجه لأول مرة في نشرة علمية نقدية، وذلك رغم عُسر اللغة الشعرية في قصائد سلطان العاشقين، ورغم الغموض الشديد الذي يجلّل مفرداته العذبة والقوية

فى الآن نفسه، وقد استطاع أ.د جوزيبي سكاتولين - وهو الغريب عن العربية- أن يغوص فى لغة ابن الفارض، ويستخلص لنا ديوانه فى نشرة علمية نادرة. فله منا- أهل اللغة العربية- الثناء العاطر والشكر الجزيل^(٧).

والجدير بالذكر أن سكاتولين قد أبدع فى استخراج وإثبات القراءات المختلفة لديوان عمر بن الفارض من المخطوطات الخاصة بالديوان والمنتشرة فى أكثر من ثماني دول عربية وأوروبية، مما جعله يضع عنوانًا فرعيًا لتحقيقه وهو "قراءات لنصه عبر التاريخ"، فبمطالعة تحقيقه للديوان يمكن للقارئ أن يجد فى الهوامش التي بلغت أكثر من (٢٥٠٠) هامش كل الاختلافات الواردة فى القراءات المختلفة للديوان عبر ثلاثة قرون من الزمان، وبذلك أصبح هذا التحقيق عملاً منهجيًا وتطبيقيًا فى تحقيق التراث الإسلامى والصوفى لا نجد له مثيل^(٨).

وفى عام ٢٠٠٨م قدم سكاتولين عملاً فى منتهى الأهمية للقراء العرب بعنوان "التجليات الروحية فى الإسلام: نصوص صوفية عبر التاريخ" وذلك بالاشتراك مع تلميذه الباحث المصرى/ أحمد حسن أنور^(٩). وقد احتوى هذا العمل الثمين على تعريف بأكثر من (٤٥) صوفيًا ابتداءً من القرنين الأول والثاني الهجريين "حركة الزهاد"، مرورًا بأصحاب المصنفات الصوفية الكبرى، حتى انتهى الكتاب بأهم شخصيات القرن السابع الهجري. ولعل السبب الذى دفع سكاتولين وتلميذه إلى تأليف هذا الكتاب يكمن فى إدراكهما إلى أى مدى انتشرت القراءات الأيديولوجية لمفهوم التصوف، فأرادا بتأليفهما لهذا الكتاب أن يحاولا استكشاف المعنى الأصلي لمفهوم التصوف عبر العصور إستنادًا إلى الواقع التاريخي والنصوص الصوفية عبر التاريخ، كما أردا أن يجعلوا المتصوفة هم الذين يتحدثون بأنفسهم عن أنفسهم عن التصوف، فى محاولة منهما لتجنب عمل أي إسقاط ذاتي أو أيديولوجي على الأفكار الصوفية قدر الإمكان. خاصة أن المؤلفان قد راعا فى هذا الكتاب عدة نقاط منهجية أبرزها: اختيار النص المركزى

لدى كل شخصية صوفية وردت في هذا الكتاب، ومراعاة تطور المعنى في المفاهيم والمصطلحات والأفكار الصوفية من قرن لآخر.

وربما يكون من المفيد الإشارة إلى أن هذا الكتاب لم يقتصر على كونه مرجعاً أساسياً للقارئ العربي المهتم بـ "التصوف الإسلامي" فقط، بل تحول إلى كتاب مرجعي لأتباع الطرق الصوفية أنفسهم؛ فأخذوا يتلقفونه تداولاً وقراءة ودرساً وتحليلاً؛ وحرصوا على استضافة المؤلفان ليقدموا دروساً لهم في هذا الكتاب، ولن نبالغ إذا قلنا أن أحد الدروس التي قدمها المؤلفان لإحدى الطرق الصوفية بصعيد مصر كان الحضور يتجاوز الـ ألفين شخص من مريدي تلك الطريقة الصوفية^(١٠).

ومن ضمن المفارقات أن سكاتولين (الراهب الكاثوليكي) قد أخذ مكانة مهمة بل مركزية في الأوساط الإسلامية بمصر (الشعبية والرسمية) بسبب تأليفه لهذا الكتاب. فعلى الصعيد الشعبي: نجد شيخ أقدم مسجد تاريخي بمدينة أسوان بمصر يطلب من سكاتولين حين زيارته للمسجد أن يجلس على كرسي الخطابة بالمسجد ما بين صلاة المغرب والعشاء، وقد أشار سكاتولين نفسه إلى تلك الخبرة الاستثنائية له كراهب كاثوليكي حين جلس يتحدث مع المسلمين عن التصوف الإسلامي وهو جالساً على كرسي إمام المسجد الكبير بإسوان^(١١). أما على الصعيد الرسمي: فنجد ما ذكره الإمام أحمد الطيب (شيخ الأزهر الشريف) عن كتاب التجليات الروحية في الإسلام حين قال: "وهذا الكتاب الجليل الذي نُقِّم له يعرض في أمانة علمية دقيقة مظاهر التجليات الروحية في الإسلام ويتحدث عن التصوف الإسلامي نشأةً وتطوراً وازدهاراً وعرضاً لبعض المفاهيم والقضايا الإنسانية، وذلك من خلال نصوص شيوخ التصوف أنفسهم، أخذاً من كتبهم وأقوالهم، بدءً من القرن الأول وانتهاءً بالقرن السابع الهجريين. والكتاب في هذه الخطة العلمية الجادة سجلٌ حافل لأقوال الصوفية المسلمين في هذه الفترة التاريخية الطويلة، ومنجم مملوء بمأثورات كبار الشيوخ والعارفين بالله تعالى؛ وقد جمع

هذا الكتاب دررًا غوالي من عيون قصائد الحب الإلهي وأسراره، واحتشد فيه من أقوال الصوفية قدر كبير قلَّ أن يجتمع في سفر آخر قبل هذا الكتاب^(١٢).

إذن لم يكن سكاتولين عابثًا أو عشوائيًا عندما أقدم على تأليف هذا الكتاب باللغة العربية؛ بل أراد أن يترك إسهامه المتميز، وخبرته الطويلة مع الدراسات الصوفية عبر نصف قرن من الزمان. فإذا كان قانون نيوتن يقول: لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، فإن هذا القانون قد تحقق في أوضح صوره مع فعل سكاتولين الماثل في تأليفه كتاب "التجليات الروحية في الإسلام" باللغة العربية مخاطبًا القارئ والمثقف العربي والمسلم بلغته الأم، ليجد استجابة إيجابية مضاده من طرف العرب تجاه هذا الكتاب.

ولو انتقلنا إلى كتاب آخر من مؤلفات سكاتولين مع تلميذه المصري أحمد حسن لوجدنا كتاب: الأبعاد الصوفية عند عبد الملك الخركوشي (ت: ١٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، حيث قاما معًا في هذا الكتاب باستكشاف شخصية شبه مجهولة في تاريخ التصوف الإسلامي. ولعل ما يميز هذا الكتاب استحضارهما لمنهج غربي معاصر وهو المنهج الدلالي (Semantics) وتطبيقهما لهذا المنهج على نصوص الخركوشي. بالإضافة إلى قيامهما بتخصيص قاموس للألفاظ والمصطلحات الصوفية المتدواله في القرنين الرابع والخامس الهجريين^(١٣).

ويستمر إنتاج سكاتولين العلمي (المدون باللغة العربية) في التوسع، فنجده يكتشف مخطوط نادر، غير منشور من قبل، هو: شرح التائية الكبرى لابن الفارض، من تأليف عفيف الدين التلمساني (ت: ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، إذ به يكتشف أن المخطوط الموجود بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (تحت رقم ١٣٢٨ تصوف طلعت) هو المخطوط الوحيد لهذا النص، وهنا لم يستطع سكاتولين أن يمنع نفسه من تحقيق ونشر وطباعة هذا الكتاب بالتعاون مع المحقق المصري الأستاذ مصطفى عبد السميع.

ليخرج لنا بذلك جوهرة من جواهر التراث الصوفي العربي بعد أن كانت تائهة وضائعة عن القراء^(١٤).

أما الكتاب الأهم من وجهة نظرنا لسكاتولين فهو كتاب "تأملات في التصوف والحوار الديني"^(١٥)، ويمكننا القول: بأن سكاتولين في هذا الكتاب قد تمتع بما يمكننا تسميته بـ "الإبداع التركيبي" حيث حاول تركيب عناصر فلسفته الدينية الخاصة من خلال توظيفه الفلسفي الفريد والتميز لمصطلحات ومفاهيم "التصوف" و"الحوار" بشكل جديد وغير مألوف من قبل، وسترکز هذه الورقة أكثر فأكثر على مناقشة محاولة سكاتولين "تأسيس فلسفة دينية جديدة" ظهرت بوضوح في كتابه هذا الذي يمكننا وصفه بأنه "خلاصة فكر سكاتولين"، لذلك ننبه إلى أن هذه الورقة ستركز أكثر على هذا الكتاب.

كما أن هذا الكتاب قد وجد ترحيباً في الأوساط العربية والإسلامية خاصة من طرف الأزهر الشريف؛ فقد كلف فضيلة الإمام الأكبر "شيخ الأزهر" مستشاره في شئون الحوار بين الأديان (أ.د. محمود عزب) بكتابة تصدير هذا الكتاب، وقد أوضح الأخير أن أفكار سكاتولين المرتبطة بالتصوف والحوار الديني، مقبولة من طرف الأزهر الشريف، بل ذهب محمود عزب إلى البحث في القرآن الكريم لاستخراج الآيات القرآنية الكريمة التي تؤيد نفس الأفكار التي دعى سكاتولين إليها، معتبراً دعواه قائمة على أمرين؛ الأول: تاريخ خبرته العلمية والعملية في مجال الحوار بين الأديان، الثاني: خبرته الخاصة بعالم التصوف^(١٦). ولا يفوتنا أيضاً التنويه على أن مقدمة هذا الكتاب قد كتبها المفكر المصري الشهير عمار علي حسن (المتخصص في دراسة التنشئة السياسية للطرق الصوفية)، وقد أوضح في مقدمته إلى أي مدى يحتاج القارئ المعاصر لأفكار هذا الكتاب خاصة في ظل: تشيؤ الإنسان بدرجة غير مسبوقة، مع توحش الرأسمالية، وانتشار الصراعات الاقتصادية والسياسية. كما يرى عمار على

حسن أنه في ظل تلك الظروف والأجواء يمكن للتصوف "القائم على تجربة روحية خالصة" تنطوي على "قيم إنسانية نبيلة" أن يؤدي بالفعل إلى "ثروة روحية متجددة" في عالمنا المُسيّس، ثورة روحية يمكنها أن تواجه: التردّي الأخلاقي، والظُمأ الروحي، والتطرف في العقلانية، والصراع بين الحضارات وأهل الأديان^(١٧).

وفي النهاية نشير إلى أن مجمل أعمال جوزيبي سكاتولين قد بلغت ستة وستون دراسة بين "كتب وبحوث ومقالات" كتبت بعدة لغات: "الإيطالية، والإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والعربية"^(١٨)، وبالطبع يصعب وصفها كاملة في هذه الدراسة المحدودة.

٢ - المصطلحات والمقولات الرئيسية المركزية في فكر جوزيبي سكاتولين:

يصعب البدء في التعرف على موقف وأفكار وفلسفة سكاتولين دون إدراك مجموعة المصطلحات والمقولات المركزية التي تشكل بدورها الإطار المنهجي والنظري والتطبيقي لديه، وأعتقد أنه في حالة إغفال هذا الإطار فسيكون من الصعب الإمساك بالمعاني داخل إطارها الفكري، خاصة أن سكاتولين نفسه هو من حدد في كتابه "تأملات في التصوف" هذه المصطلحات.

٢-١: التصوف:

هناك دراسات كثيرة عربية وغربية ناقشت مفهوم التصوف، ولا نريد تكرار ما ورد في هذه الدراسات، ولعل أبرزها ما قدمته المستشرقة الألمانية أنا ماري شيميل Annemarie Schimmel (ت: ٢٠٠٢م)^(١٩) في دراستها العميقة عن التصوف، وما قدمه المستشرق الأمريكي المعاصر الكسندر كنيش Alexander Knysh^(٢٠). كما أن سكاتولين قد ناقش مصطلح ومفهوم التصوف من مختلف أبعاده وزواياه في عدة كتب، ومن الملاحظ على دراسته للتصوف ما يلي؛ أولاً: يمكننا اعتبار سكاتولين

امتدادًا لأجيال من المستشرقين الجاديين الذين درسوا التصوف الإسلامي دراسة أكاديمية متخصصة، جادة ومفيدة. ثانيًا: عودته دائمًا إلى المصادر العربية الأصلية التي ناقشت معنى مصطلح التصوف في العصور الوسطى. ثالثًا: استفادته من الدراسات العربية الجادة في هذا المجال^(٢١). وبالطبع لا ننسى - في هذا الصدد - إسهاماته البحثية الفريدة والعديدة والمتنوعة لدراسة أشعار سلطان العاشقين عند الصوفية: **عمر بن الفارض** (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) من مختلف الزوايا، حتى أنه ترك للمكتبة الصوفية ما يمكننا تسميته بـ "المكتبة الفارضية المعاصرة"^(٢٢).

إلا أن أهم ما يعنينا هنا هو تركيزه على توظيف التصوف (mysticism) كخبرة روحية وجودية يدخل فيها الإنسان في اتصال مباشر مع السر الإلهي. وقد عبر صوفية المسيحية والإسلام بوضوح عن تلك الخبرة الروحية التي: لم ترها عين، ولا سمعت بها أذن، ولا خطرت على قلب بشري بالتعبير المسيحي، كما وردت في الحديث القدسي الشهير: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر..^(٢٣). وهنا يوضح سكاتولين: أن المتصوفة الروحانيون (mystics) يتكلمون بلغة لا يستطيع فهمها إلا من عانى معاناتهم وخبر خبرتهم الروحية وذاق مذاقاتهم الباطنة. وعند هذه النقطة لا بد أن يتوقف تعجُّرُ العقل الإنساني، تاركًا فضاءً مفتوحًا لتبصُّرات القلب ولإلهامات الروح.

ومن ناحية أخرى يؤكد سكاتولين أن المتصوف بهذا المعنى يتجاوز حدود الثقافات المحلية، لأن رسالته الصوفية ستتحول إلى دعوة عالمية، وتكون مصدر إلهام لمختلف الروحانيين، فقيس المستقبل لن يعودَ كونه قديمًا معترفًا به من جانب المؤمنين المنتمين إلى ديناته فحسب، إن قديس المستقبل أو قل المتصوف الروحاني في المستقبل هو ذلك الذي يعيش في انفتاح حقيقي بذاته على الآخر المختلف، فيخرج لملاقاة حضور السر الإلهي في التقاليد الدينية العالمية. وهكذا يصبح ذلك القديس المتصوف، بكامل المعنى "أخًا كونيًا" (universal brother)، مُعترفًا به ومحبوبًا من

طرف الكل، أي المنتمين إلى شتى التقاليد الدينية. فهناك بعض الناس الروحانيين المعاصرين الذين أثبتوا أن القداسة الحقيقية من الممكن أن يُعترف بها وتُقدَّر حقَّ قدرها خارج الحدود الدينية الخاصة. نذكر هنا على سبيل المثال الراهبة المسيحية المعروفة الأم تريزا Mother Teresa of Calcutta (ت ١٩٩٨)، والراهب المسيحي الذي اندمج في الثقافة الهندوسية بيد جريفيث Bede Griffiths (ت ١٩٩٣) وغيرهما. إذن، فهؤلاء الناس صاروا أعلامًا واضحة لنمط جديد من "القداسة الكونية أو العالمية"^(٢٤).

كذلك يفتح سكاتولين الأفق الصوفي لما أسماه هو بـ "فضاءات التلاقي" أو "فضاءات الحوار" بين المتصوفة من مختلف الأديان والتي يرى أهمية تمثلها في ثلاث محاور أساسية: أولاً- إعادة اكتشاف هوية الإنسان كإنسان، ثانياً- الاهتمام بالبيئة التي يتموضع فيها الإنسان أي الكون، وأخيراً- سير الإنسان المشترك مع الكل نحو غايته الأسمى، وهو الله^(٢٥).

ومن ثمَّ يعود سكاتولين مرة أخرى إلى الحضارة الإسلامية عامة، والتصوف الإسلامي خاصة ليؤكد على أنهما من أهم العناصر التي تجاوزت الحدود الثقافية نظرًا لما شاركها به من مشاركة عظيمة وإيجابية وفعالة مع سائر الحضارات في الحركة الحضارية الإنسانية العامة عبر التاريخ. ويستشهد سكاتولين بموقف بولس نوي Paul Nwyia (ت: ١٩٨٠م) الذي أعلن عن أهمية التصوف الإسلامي؛ خاصة أن صوفية الإسلام قد أنشأوا من خلال خبراتهم الصوفية لغة خاصة بهم، لغة حية مليئة بمعانٍ عميقة ألا وهي "لغة الخبرة الروحية"^(٢٦). ليكمل سكاتولين فكرته القائلة بأن إهمال التصوف الإسلامي يؤدي إلى إهمال تراثًا حضاريًا عظيمًا من الحياة والفكر والفن^(٢٧).

وختامًا لهذه الفكرة يرى سكاتولين أن التصوف الإسلامي يمثل ثروة روحية عظيمة غير مقصورة على الإسلامية فحسب، وإنما ثروة استطاعت أن تجد مكانها

وسط الحضارات العالمية جمعاء، ومن هذا المنطلق فالتصوف الإسلامي يمثل مجالاً مفتوحاً للتلاقي بين الحضارات والأديان العالمية^(٢٨).

٢-٢: الحوار:

الكلمة العربية "حوار" مشتقة من الأصل (ح و ر) الذي يعني "الرجوع إلى الشيء"، والفعل "حاوَرَه" يعني "رَدَّ الكلمة وأجاب له"^(٢٩). ولو بحثنا عن المرادف الغربي لهذه الكلمة العربية لوجدنا كلمة (Dialogue) والتي تعني "كلمة بين طرفين أو واسطة بينهما" (A word in-between). هكذا اتخذت هذه الكلمة معنىً عامًّا للتعبير عن "الكلام" الذي يدور بين طرفين أو أكثر. أما لو حاولنا اكتشاف توظيف سكاتولين لمصطلح ومفهوم الحوار، فإننا سنجد لديه يتمثل في عدة اتجاهات لعل أبرزها ما يلي:

٢-٢-١: حوار الإنسان مع الإنسان.

هناك عدد من الفلاسفة المُحدِّثين، من أمثال مارتن بوبر Martin Buber (ت: ١٨٧٨ - ١٩٦٥م) وإيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas (ت: ١٩٠٦ - ١٩٩٥م)، ممن ركزوا اهتمامهم على تطوير ما عُرف بـ "فلسفة الحوار" philosophy of dialogue^(٣٠). فقد أثبت هؤلاء الفلاسفة أن خبرة الـ "أنت" (thou) هي خبرة جوهرية أصيلة للإنسان لكي يبلغ الوعي بذاته الخاصة كـ "أنا" (I-ego)، أي كشخص - فاعل (subject) بمعنى الكلمة. كذلك ألقى هؤلاء الفلاسفة ضوءاً جديداً على الفارق الأساسي القائم بين خبرتين أساسيتين للإنسان: الأولى هي خبرة الـ "أنا-أنت" (I-thou)، والأخرى هي خبرة الـ "أنا-ذاك" (I-it, that). إن الخبرة الأولى، أي خبرة الـ "أنا-أنت"، هي الخبرة البين-شخصية (inter-personal) التي تتم بين فاعلين شخصيين (subjects). أما الخبرة الثانية، أي خبرة الـ "أنا-ذاك"، فهي خبرة موضوعية لاشخصية، تقع بين فاعل شخصي وشيء موضوع لاشخصي (impersonal).

(object). وبالفعل، أثبتوا أنه عبر الخبرة الأولى فقط، أي في علاقة "أنا-أنت"، يصل الإنسان إلى إدراك ذاته الخاصة، أي الـ"أنا" الخاص به كشخص. ومن ثم أصبح من الواضح الآن وبشكل متزايد في الفلسفة المعاصرة أن الحوار دائماً ما يقع كعلاقة بين-إنسانية (inter-human) أصيلة^(٣١).

ولو حاولنا البحث عن إطار تطبيقي يساعدنا على فهم الفقرة السابقة، فربما كان أفضل مثال ما نجده لدى المستشرق الهولندي كريستيان فان نسبن Christian Van Nispen (ت: ٢٠١٦م) حين قال: في السنوات الأخيرة اكتشفت إلى أي مدى يعد البعد الروحي بعداً مهماً في اللقاء بين المسلمين والمسيحيين.... فمن خلال خبرتي في السنوات الأخيرة أدركت أهمية العمل المشترك مع المسلمين، فبلورت نصين كتبتهما في هذا الإطار كان عنوان أحدهما: معاً أمام الله، والثاني: الحياة الروحية موضع الالتقاء بين المسيحيين والمسلمين^(٣٢).

إن ما يقصده كريستيان فان نسبن هنا، وما سنجده أيضاً لدى سكاتولين، يرتبط بما يمكننا تسميته بـ "فعل التأمل الإنعكاسي"، الذي سيؤدي إلى "إدراك الذات بشكل أفضل"، حيث يكمل الآخر الأنا، فمن خلال قيام الأنا بفهم وتأمل الآخر، تكتمل معرفتي أكثر بنفسِي وذاتي... وكأن الآخر هنا يمثل مرآة للأنا، في حين أن الأنا أيضاً تكون مرآة للآخر، ومن هنا يؤدي الاختلاف إلى إدراك الذات والهوية بشكل أكثر فهماً وعمقاً^(٣٣).

٢-٢-٢: حوار الإنسان مع الطبيعة.

أن الكائن البشري يأتي في علاقة حوارية حيّة تضعه في تناغم مع الطبيعة، والواقع أن الإنسان يستطيع أن يجد تناغماً وسلاماً مع نفسه ومع الكل من خلال هذه العلاقة الوجودية-الحوارية أو الأنطو-حوارية (onto-dialogical) العميقة.

وبتحقيق ذاته في هذه الأبعاد الأنطو-حوارية يختبر الكائن البشري تناسبا أصيلاً وتجاوباً عميقاً بينه وبين الطبيعة، فهو ينعكس فيها كما أنها تنعكس فيه. إلا أن الحوار بين الإنسان والطبيعة في عصرنا أصبح في خطر جسيم بسبب المخاطرة التكنولوجية العلمية المتغترسة المفروضة على الطبيعة من طرف البشر^(٣٤).

٢-٢-٣: الإطار التطبيقي للحوار.

ومن الملاحظ مدى استفادة سكاتولين من أفكار الفيلسوف الألماني مارتن بوبر Martin Buber في وضع المبادئ الأساسية للحوار، إلا أن سكاتولين قد طور رؤية بوبر وخاصة في نقل مفهوم الحوار من الإطار الفلسفي إلى مجال العلاقة بين الأديان والثقافات والحضارات. فهذا هو نجد يقول: بدلاً من الدخول في تفاصيل لاهوتية (theological) حول نظرية الحوار، فالوثائق الكنسية ركزت تركيزاً أكثر على اقتراحات عملية للحوار بين الناس المنتمين إلى أديان مختلفة. فالوثيقة الكنسية "الحوار والإعلان" (Dialogue and Proclamation) (١٩٩١)، التي تُعتبر الوثيقة الكنسية الأكثر اكتمالاً في هذا الموضوع، أصبحت منذ زمان مرجعاً هاماً للكثير من التبصرات في هذا المجال، وهي تقترح أربعة أشكال أو قل مستويات من الحوار البين-ديني، هي على النحو التالي: حوار على مستوى الحياة: حيث يحاول المُنتمون إلى أديان مختلفة أن يتعايشوا على نحو مفتوح وخير وجيراني، متشاركين في أفراحهم وأحزانهم ومشاكلهم ودواعي قلقهم وآمالهم اليومية. حوار على مستوى الأعمال: حيث يتعاون أصحاب الأديان المختلفة في عملٍ تطوّر وتحرّر من أجل الخير العام، وخاصة المستضعفين من الناس. حوار على مستوى الفكر الديني: حيث يحاول علماء الأديان المختلفة تعميق فهم تقاليدهم الدينية الخاصة والعامة بهدف تفاهم عميق وتقدير متبادل للقيم الروحية المشتركة. حوار على مستوى الروحانيات: حيث يتشارك أصحاب الأديان

المختلفة الراسخون في خبراتهم الروحية في طرق البحث عن الله مستهدفين تبادلاً روحياً واسعاً ينير مسيرة الإنسان نحو الله^(٣٥).

٢-٣: العولمة:

إن الحقبة الزمنية التي دخلناها منذ زمن قريب أصبحت تُعرَف باسم: عصر العولمة، وتتميز بعملية عولمية تسويقية متزايدة تهدف آخر أمرها إلى إلغاء كل الحدود الثقافية والاجتماعية والسياسية التي ظلت تهيمن قرونًا طويلة على شعوب العالم. ومع الاعتراف ببعض الجوانب الإيجابية لهذه العملية، إلا أن هناك بلا شك جوانب أخرى جد سلبية قد تُهدد بقاء الحياة البشرية ذاتها. لذلك يشير سكاتولين إلى أبرز ملامحها الرئيسية العامة، ويذكر منها^(٣٦):

٢-٣-١: بين التسويقية العالمية (global marketing) والتكتل الثقافي (cultural massification):

بعد سقوط الأيديولوجيات الشمولية التي هيمنت على العالم حتى عهد قريب، ومنها الماركسية بصفة خاصة، يبدو الآن أنه لم يبقَ هناك على مدار الأرض من مهيمن إلا أيديولوجيا واحدة: هي الرأسمالية الليبرالية المُحدثة التي تدعمها وتدفعها قوة مركزية عظمى: هي الولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو كذلك أن لهذه الرأسمالية الليبرالية المحدثة هدفًا رئيسيًا، هو الهيمنة العالمية بإخضاع أو بإقصاء أية قوة معارضة لها سعيًا إلى خلق مساحة عالمية موحدة تمكّنها من مدّ ديناميكيتها الكامنة فيها، ألا وهي التنافس الحر بلا قيد للهيمنة المطلقة على السوق العالمية. ومن أرفع العواقب لهذه التسويقية العالمية، عواقب شجّ بها منذ زمن العديد من المفكرين المعاصرين، ما نسمّيه "التكتل الثقافي" (cultural massification) الذي يؤدي إلى "ثقافة تكتلية" (mass culture)، وهي ظاهرة واسعة الانتشار على امتداد العالم كله. فقد أصبحت الآن الثقافة الإنسانية عامة في خدمة تلك التسويقية العالمية، وهذه الأخيرة

تستعمل تلك الثقافة التكتلية لدعم وتبرير كبرى مصالحها تحت رحمة آلة مُرعبة، ألا وهي الدعاية التجارية المكثفة التي صارت تُغَطِّي إلى حدٍ كبير ألقنا الثقافي الحاضر.

٢-٣-٢: التشظي الأخلاقي - الديني (moral-religious fragmentation):

نشهد اليوم عاقبةً مُرعبةً أخرى، هي التشظي بل قل التذري لكل القيم الإنسانية التي كانت متمثلة في المؤسسات البشرية التقليدية، من أمثال المؤسسات الدينية وأشكال أخرى من الحياة الاجتماعية لجماعات البشر. فها نحن الآن في مجتمعاتنا المعولمة بكائنٍ بشريٍّ حديثٍ متشظٍ ومتذرٍ في ذاته إلى أقصى حدٍّ، وهو مُلقى في بحر هذه التسويقية العالمية المهيمنة مُفرَّغًا من أي مبدأٍ داخلي يساعده على مقاومة تلك الثقافة التسويقية المتدفقة والجارفة حوله. إن هذا الإنسان الحديث الفرد المتفرد أصبح منقطعًا عن كل مرجعية أخلاقية ولا يتمسك إلا بما يُرضي ذاتيته المتفردة. فهذا ما بعد الحداثي (post-modern) يريد أن يثبت ذاته برفض كل شرطٍ أو حدٍّ يأتيه من الداخل أو من الخارج. وبذلك انتشرت عدة مبادئ حتى أنها تحولت إلى قانون ومن ضمنها: نجد المبدأ العملي "افعلها بنفسك" (do it yourself)، ومبدأ "اخدم نفسك بنفسك" (self-service)، وقد أدت هذه المبادئ إلى رفع شعار فكرة مركزية الفردانية (individualism) أو الذاتية الفردية الحداثية (modern subjectivism)، ويلاحظ سكاتولين أن سمات ذلك قد انتشرت في الفلسفة الحديثة بمسمى: "الانكفاء على الذات" (the turn to the subject). إلا أن هذا المبدأ وصل إلى تقنت كامل لإنسانية الإنسان إلى أبعد حدٍّ. زد على ذلك أن ما سبق يشكل بالضبط المقدمة المطلوبة والضرورية (عمدًا أم بغير عمد، هذه مسألة أخرى) من أجل عملية أخرى هي الرؤبة (robotization) المتصاعدة والكاملة للإنسان المعاصر.

٢-٣-٣: صحوۃ القبليات المحدثۃ (neo-tribalisms) من ..عرقِيَّة (ethnic) وثقافية (cultural) ودينية (religious):

من ناحية أخرى، كَرَدَ فعل على تلك العملية للتشظية والتذرية الأخلاقية الجاري تنفيذها في إنسانيتنا المعولمة، وكذلك رفضًا للأيديولوجيات الشمولية الإطلاقية التي سيطرت على تاريخنا القريب، بدأت هناك عملية مرتدة تدعو للعودة إلى ما يمكن وصفه بـ"القبليۃ المحدثۃ" (neo-tribalism) من عرقِيَّة وثقافية ودينية في العديد من الجماعات البشرية من عالمنا المعولم. فعبر هذه النزعات القبليۃ تريد تلك الجماعات البشرية أن تُحافظ على أصالة هويتها الخاصة مع استعادة قيمها الثقافية التقليدية، إذ إنها قد صارت مهددة من طرف التكتل الثقافي المتصاعد المهيمن على العملية التسويقية العالمية الحالية. وينبه سكاتولين هنا على أهمية استعادة هذه القيم التقليدية؛ لكنه في ذات الوقت يحذر من عملية استردادها بطريقة "قبليَّة"، أي بروح انطوائية ذاتية، وعدائية إزاء المجموعات والثقافات الإنسانية الأخرى. لأن استردادها بطريقة "قبليَّة" قد يؤدي إلى حدوث ما أسماه بـ "نزعات قبليۃ إثنية وثقافية ودينية" خطيرة. زد على ذلك أن هذه النزعات القبليۃ عندما تجد دعمًا من طرف المصالح السياسية والاقتصادية الكبرى، قد تتحول بكل سهولة إلى وقود ملتهب من الصراعات والحروب^(٣٧). والأخطر من ذلك - كما يرى سكاتولين - أن الأديان العالمية قد تصبح يومًا ما أسيرة للعبة الـ "القبليۃ المحدثۃ".

وإذا كان سكاتولين هنا يطرح الإشكالية التي تواجه الكل، فإنه كمفكر يحاول اقتراح الحلول التي تساعدنا في النجاة من لعبة الـ "القبليۃ المحدثۃ"، وذلك استنادًا إلى مبدأ "السلام بين الشعوب"، ويستشهد هنا بالمقولة الشهيرة: لن يكون هناك سلام بين الشعوب ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان^(٣٨). ويفسرها من خلال التأكيد على أهمية أن يكون للأديان العالمية مبادئ أخلاقية وفلسفية

واضحة تؤدي إلى بناء إنسانية جديدة أو متجددة (new humanism)،
تؤسس علاقات تعايش سلمي بين الشعوب.

٣- الأبعاد التأسيسية لفلسفة دينية جديدة عند جوزيبي سكاتولين:

لن نبالغ إذا قلنا صراحة أن أفكار جوزيبي سكاتولين الواردة في كتابه
"تأملات في التصوف والحوار الديني" تعتبر بحق أبعادًا تأسيسية لفلسفة دينية
جديدة؛ وتتميز هذه الفلسفة أنها إذا كانت تنطلق من رؤيته المسيحية
الكاثوليكية دون إنكار إلا أنها سترتبط وتطبق مع مختلف الأديان العالمية،
لأنها ستحاول تقديم أفكار جوهرية مستوحاه من مبدأ أسماه هو بـ "قديس
المستقبل" الغير منغلق في تقاليده الدينية الخاصة؛ بل فقديس المستقبل منفتح
برؤيته الأخلاقية والدينية والفلسفية على الكل.

ويمكننا القول بأن تطبيق منهج "قراءة القراءة" على أعمال سكاتولين يجعلنا نكتشف
أن أفكاره المرتبطة بدعوته العالمية يمكن أن ينطبق عليها ما يمكننا تسميته بـ
"ميتافزيقا العولمة"، أو "العولمة والعولمة المعكوسة"، حيث أنه سيعيد توظيف أهم
مقولات ومبادئ العولمة في الدعوة العالمية لكن من منظور معكوس، منظور يحذر من
آثارها السلبية على الإنسان المعولم، لكنه في ذات الوقت يقدم دعوة فلسفية دينية
عالمية إيجابية للكل، تلك الدعوة لا تقف عند حد التصريحات الأفلاطونية المثالية-
المعبرة عن حسن النوايا فقط- ولكنها تهدف في حقيقة أمرها إلى أمرين؛ الأول: أن
تؤدي إلى جعل دين المستقبل قادرًا على حوار إيجابي مع الأديان الأخرى. الثاني: أنها
تجعل الأديان العالمية في مواجهة حقيقية للمشكلات والمخاطر التي تواجه الإنسان في
عصر العولمة.

٣-١: التأكيد على مبدأ التعددية الدينية:

يظهر مبدأ التعددية في القرآن الكريم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]. ولننظر بعمق إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨-١١٩].

٣-١-١: التعددية الدينية ومتطلباتها:

من أهم السمات الإنسانية عبر التاريخ ما يمكننا تسميته بمبدأ "التعددية الدينية"، فهذا المبدأ واقع تاريخي مرتبط بالبشر عبر العصور، ومن هنا يطرح سكاتولين أمام هذه الحقيقة التاريخية عدة تساؤلات: هل هذه التعددية يجب اعتبارها ظاهرة إيجابية أم سلبية في تاريخ البشر، ولماذا؟ هل تتوافق وتتسجم هذه التعددية بالوعي والهوية الخاصة لكل دين، أم لا؟ هل هذه التعددية قد تؤدي حتمًا إلى نوع من النسبية الدينية (religious relativism) العامة، ومن ثم إلى نوع من اللامبالاة الدينية (religious indifferentism)، التي كثيرًا ما نسمع عنها في عبارات شائعة مثل: في النهاية فالأديان كلها على قدم سواء؟^(٣٩).

٣-١-٢: التعددية الدينية: ظاهرة إيجابية أم سلبية؟

إنها لواقعة من معطيات واقعنا البشري التي لا تقبل الشك أو الجدل وهي أننا عبر التاريخ البشري الطويل لا نعثر على "الدين"، بألف ولام التعريف (the Religion)، أي دين واحد موحد، مطلق الوضوح والبداهة، ومعترف به عند الجميع، بقدر ما نعثر عبر التاريخ البشري على "عدة أديان" مختلفة. إذن، فالتعددية الدينية واقع تاريخي واضح لا مفر منه. ومن هنا يرى سكاتولين أهمية أن نبحث لهذا الواقع التاريخي عن معنى دون حجة غياب، ويعتبر هذا الأمر أول تحدٍ يفرضه واقع التعددية

الدينية على كل المؤمنين من مختلف الأديان العالمية. خاصة أن سكاتولين يرى أن هذا الواقع (التعددية الدينية) صادر عن وحي حقيقي، صادر من الأصل الأول أو الأساس الأخير لكل الوجود، وهو الله. ومن هذا المنطلق يرى سكاتولين - إنطلاقاً من مسيحيته - أن التعددية الدينية لا يمكن اعتبارها "شرّاً محض" فذلك حسب وصفه هو "تبسيط طفولي" لفكرة "القصرية الدينية"^(٤٠)، بل يرى أن ظاهرة التعددية الدينية تأكيداً لمبدأ محبة الله الشاملة المطلقة (absolute universal love) وبالتالي يرى بأن ظاهرة التعددية الدينية أمراً إيجابياً في المخطط الإلهي للبشر^(٤١).

٣-١-٣: التعددية الدينية: بين الهوية والغيرية (identity- otherness):

ليس باختزال الفوارق بين الأديان يتم قبول مبدأ التعددية الدينية، بل إن مبدأ التعددية الدينية من الضروري أن يحترم مبدئي "الهوية والغيرية"، فعلى سبيل المثال، كيف يمكن للهندوسية أن تعرف نفسها دون مرجعيتها الأصلية إلى كتب الفيدا (Veda) التي في اعتقادها هي مصدرها الأول والأساسي؟ وكيف للبوذية أن تعرف نفسها دون مرجعيتها الأساسية إلى خبرة بوذا (Buddha) وأقواله، فهو مؤسسها ومنبع إلهامها؟ وكيف للمسيحية أن تعرف نفسها دون مرجعيتها الجوهرية إلى الفردية المطلقة لشخص المسيح؟ كيف للإسلام أن يعرف نفسه دون مرجعيته الأصلية لنبيه المرسل وكتابه المنزّل، وهو القرآن الكريم؟ على العكس، فبأخذ "الفوارق" الدينية على محمل الجد وبكامل معناها الخاص نضع أنفسنا على طريق التلاقي الحقيقي فيما بين الأديان. فأي نوع من الحوار الحقيقي يفترض وجود طرفين مختلفين بالفعل، لا طرفين متطابقين منذ البداية. وفي آخر الأمر، يجب أن يُلاحظ أن المحاولات المختلفة لإقامة حوار بين الأديان على أساس إلغاء أو اختزال الفوارق بينها مع اللجوء إلى توافقية عمومية شكلية، أثبتت أنها لا تقوم على أرضية فكرية صلبة، ولم تُسفر حتى الآن عن نتائج ملموسة ذات أهمية^(٤٢).

ولو حاولنا مقارنة أفكار سكاتولين مع المبادئ التي يعتمد عليها الأزهر الشريف في هذا الإطار لوجدنا تشابها ملحوظاً خاصة في المشروع الذي أطلقه فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب "شيخ الأزهر الشريف" عام ٢٠١٠م، وعنوانه هو "حوار الشرق والغرب"، ثم تطور هذا المشروع في عام ٢٠١٧م، حتى خرج في إصداره الأخير بمؤتمر بعنوان: "الإسلام والغرب... التنوع والتكامل" أكتوبر عام ٢٠١٨م. وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب في هذا المؤتمر أن الأزهر الشريف يؤمن بنشر ثقافة السلام في العالم، كما أنه أكد على أن الإسلام يحترم التعددية والاختلاف، كما أوضح فضيلته أنه يرفض العولمة التي تسعى إلى تهميش الثقافات المختلفة وقلوبة الجميع في ثقافة واحدة، كما قال بأن رؤية الأزهر للحوار تنطلق من حقائق أساسية تتعلق بأن الله خلق الناس مختلفين^(٤٣).

ولو حاولنا أن نقارن رؤية جوزيبي سكاتولين بمعاصره الفرنسي المسلم إريك جوفروا Eric Geoffroy حول موضوع التعددية الدينية بين الهوية والغيرية، لوجدنا الأخير خصصاً مبحثاً كاملاً بعنوان: التعددية أو الشعور بالآخر في الإسلام، وذهب إلى القول بأن الإسلام وتاريخه وفكره يعترف صراحة بمفهوم بالتعددية الدينية إنطلاقاً من الإدراك الذوقي للقرآن الكريم، إلا أن الإشكالية لدى إريك جوفروا أن اعتراف الآيات القرآنية بحقيقة ومشروعية التعددية الدينية كان قد أزعج بعض المفسرين المسلمين، فحاولوا نفيها أو التقليل منها^(٤٤).

ويرى سكاتولين أنه في داخل هذا الأفق الديني التعددي غير القابل للإقصاء كل دين مطالب الآن أكثر من ذي قبل أن يعيد اكتشاف هويته في علاقة إيجابية مع غيرية الآخر. فهويتي ستثبت أنها بالفعل هوية حقيقية إذا أتت مفتحة على غيرية الآخر دون محوها أو ذوبانها فيها، وإلا فلا. وعلى هذا الأساس نخلق فرصاً متجددة للحوار والتعاون فيما بيننا في سبيل الخير للجميع^(٤٥).

٣-٢: مستقبل الدين أو دين المستقبل "أربعة متطلبات أساسية إزاء كل دين في عصرنا":

إنطلاقاً من الأفقين المعرفيين (epistemological horizons) وهما أفق العولمة وأفق التعددية الدينية، يرى سكاتولين ضرورة وضع أربعة متطلبات أساسية إزاء كل دين في عصرنا، وهذه المتطلبات هي:

٣-٢-١: معاودة الرسالة الأصلية لكل دين:

يحمل كل دين رسالةً أصليةً ووعي متجدد، فلنفكر على سبيل المثال، في أهمية خبرة بوذا بالنسبة للبوذيين، أو اللقاء مع شخص المسيح بالنسبة للمسيحيين، أو الوحي القرآني بالنسبة للمسلمين .. إلخ. إن تلك الخبرات الدينية الأصلية ظلت ولا تزال تمثل عنصراً قوياً ومعنى عميقاً لحياة الملايين والملايين من البشر، لأنها توفر لهم المعنى الحقيقي والأساس لوجودهم. إلا أنه على مدى التاريخ فإن بعض الرسائل الدينية الأصلية فُرت فأولت وطُبقت بأشكال جدّ مختلفة. ولا شك أن هذه الأشكال يمكن اعتبارها تطورات وتعمقات صحيحة للرسالة الأصلية الأولى. إلا أن البعض منها صارت، وبالفعل حصل هذا مراراً، انحرافات، بل وتعتيمات عن معناها الأصلي. ومن ثم، فهناك سؤال أساسي وحتمي يفرض نفسه على كل تقليد ديني: ما تلك الخبرة الأساسية المؤسّسة لهذا الدين؟ أو ما هي رسالته الأصلية الأولى؟ ماذا يتبقّى من تلك الرسالة حيّاً وفعالاً الآن لذلك الدين في عصرنا الحالي؟ إن سؤالاً كهذا في نظر سكاتولين لا يمكن تجاوزه، لاسيما في سياقنا الحاضر لإنسانيتنا الموعّلة. من ثمّ، يرى سكاتولين: بأنّ أيّ تقليدٍ ديني عظيم يحمل في طيّاته بلا شك نواة أصيلة مميّزة ونابعة من الخبرة المؤسّسة له. إلا أن هذه النواة الأصيلة يجب استعادتها ومعاودتها وعصرنتها بمقاربة جادة عبر كل التقلبات التي قد طرأت عليها على مرّ الزمان. ففي غياب ذلك، فإن كل تقليد ديني قد يعرض ذاته لعملية تجمّد بل وتحجّر في أشكالٍ ظاهرية تكرارية

وتجليات تشريعية جامدة تتحول بكل سهولة آخر الأمر إلى قواقع فارغة جافة بدون حياة^(٤٦).

٣-٢-٢: مواجهة الحداثة المعاصرة:

يرى سكاتولين أهمية أن لا يتوقف كل دين عند الرؤى الأسطورية القديمة لحقيقة الكون والبشر المتواضع فيه، خاصة تلك الرؤى المبنية على إدراك علمي محدود، بل لا علمي (un-scientific) أو قبل-علمي (pre-scientific) لها. إذن، فمواجهة الحداثة تشكل إحدى المتطلبات الأساسية التي يجب على كل تقليد ديني وضعها في عين الاعتبار، إذا أراد أن يكون طرفاً إيجابياً في "قريتنا العالمية". فالحداثة لا يمكن أن يُنظر إليها على أنها شرٌّ مطلق، يجب محاربته بكافة الطرق^(٤٧). إن الحداثة تعني في المقام الأول "بلوغ العقل البشري أشدّه ونضجه"، وهذا في حد ذاته يمثل نمواً إنسانياً إيجابياً، بل وضرورياً في مسيرة الكائن البشري عبر التاريخ. وبالرغم من ذلك يحذر سكاتولين - مراراً وتكراراً - من خطورة تنصيب العقل البشري كمبدأ مطلق مسيطر على الكل، خاصة أن المواقف العقلانية المتطرفة قد أدت إلى اندلاع حركات "غير عقلانية" دفعت البشرية إلى كوارث مُفْزَعَة. ولعل الحربين العالميتين في القرن المنصرم أبرز دليل على ذلك. ومن هذا المنطلق يرى سكاتولين أن كل دين في عصرنا الما بعد الحداثي مطالب بلا شك أن يحقق توازناً حقيقياً ومُقْنَعاً بين الإيمان والعقل، وإلا فلن يكون له مستقبل مفيد للبشرية. فإذا كان الرومان القدماء قد قالوا قولهم المشهور: العقل السليم في الجسم السليم، فيمكننا القول: الإيمان السليم في العقل السليم، كما أنه: لو فسد العقل لأدى ذلك إلى فساد الإيمان. ومن الملاحظ أن سكاتولين قد أسس رؤيته للعلاقة بين العقل والإيمان عن طريق تأثره بأفكار القديس أوغسطين (ت: ٤٣٠م)، إلا أنه قد طور هذه الأفكار بطريقة جديدة وعصرية^(٤٨).

٣-٢-٣: الحوار مع الأديان الأخرى:

من المعروف تاريخياً أن البشرية عرفت عبر العصور عددًا لا يُحصى من الأديان، ولا شك أن تلك الأديان قد شكلت قيم روحية عميقة وثقافات إنسانية عظيمة نشأت وتطورت داخل كل تلك التقاليد الدينية. وكانت تلك القيم الدينية عَصَب الحياة للحضارات الإنسانية الكبرى التي ازدهرت عبر الزمان، ولذلك ينبغي أن تظل إرثًا مشتركًا بين البشر كلهم. إذن، فسكاتولين يرى أن أي دين يريد أن يكون طرْفًا إيجابيًا في القرية العالمية عليه أن يتجاوز السلوك الطفولي الناتج عن عدم الثقة والخوف والإدانة إزاء كل ما هو "مختلف وغريب"، فعكس ذلك. وتتشابه أفكار سكاتولين هنا مع الرؤية الفلسفية للمفكر المصري محمود رجب الذي يرى أن إثبات الحقيقة أو الهوية الخاصة لكل طرف لا يستلزم بالضرورة إلغاء حقيقة أو هوية الطرف الآخر المقابل له، بل العكس^(٤٩). لذلك فالحوار تجاه الأديان الأخرى أصبح الآن أمرًا مهمًا بل ضروريًا لكل دين يريد أن يكون فاعلاً إيجابيًا في قريتنا العالمية، فدين الغد إما أن يكون دينًا قادرًا على حوار حقيقي إيجابي مع الأديان الأخرى أو ربما يتم اختزاله في طائفة دينية قبلية محدودة في دائرة مغلقة من البشر، أشبه بالـghetto^(٥٠).

٣-٢-٤: الالتزام بالعدالة في العالم:

يرى سكاتولين إن الالتزام بمبدأ العدالة بين البشر لأمر مكتوب بكلمات واضحة كبرى الأديان العالمية. إلا أن الممارسة الواقعية في هذا المجال من جانب أصحاب كل دين قد شابها الكثير من النقاط السوداء. فالواقع التاريخي يثبت بدون شك أن وقائع سلبية حدثت وبأفطع أشكالها من اتباع كل دين بلا استثناء، فاتباع كل دين قد لجأوا إلى الظلم والعنف في لحظة تاريخية ما، ومن ثمَّ يجب الاعتراف من طرف كل اتباع الديانات المختلفة أن الكل ليس برئ في الماضي من الظلم والعنف... كما يرى سكاتولين أن هذا المنطلق من الصراحة هو المدخل الحقيقي لبناء تاريخ جديد؛ بل قل

واقع حاضر ومستقبلي للالتزام بالعدالة في العالم. وهنا نجد تشابها ملحوظاً بين سكاتولين من ناحية، وتلك الصرخة التي أعلنها القديس أوغسطين (ت: ٤٣٠م) من ناحية أخرى؛ حين قال الأخير: كم من فترات دموية عرفت النصر والهزيمة! كم من أناس هلكوا: جنود يموتون في القتال وشعوب يُذبحون وليس من يدافع عنهم!.... إن الحديث عن تلك الكوارث أو التذكير بها يعني كتابة تاريخ جديد^(٥١). كذلك يؤكد سكاتولين على أنه من الضروري الانتباه إلى أخطر التحديات في عالمنا المعاصر، ومن أبرز هذه التحديات ضرورة عدم التفرقة بين البشر على أسس "جنسية، وعقائدية، وأيديولوجية" وذلك إذا أردنا احترام حقوق الإنسان من ناحية، وإذا أردنا تجنب صراعات بشرية مستقبلية. كما نجده ينتقد الفكرة القائلة: بأن الاقتصاد الرأسمالي الحر يعني بالضرورة العدالة من أجل الجميع، حيث يرى أن الواقع الرأسمالي قد أدى إلى تفاوت متزايد غير مسبوق بين عالم الأغنياء وعالم الفقراء، كما يرى أن هذا التفاوت الضارب لقواعد العدالة قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تدمير ذاتي كليّ (-self total destruction) شبه مؤكّد^(٥٢).

٣-٣: التصوف والأفق الوجودي الإنساني:

إذا كانت التسويقية العالمية (global marketing) المهيمنة على قريتنا العالمية تمثل مخاطر جسيمة على الإنسان المعاصر، قد تؤدي إلى التدهور والسقوط في هوة اللامعنى، وذلك عن طريق عملية يسميها سكاتولين بـ: "رؤبئة" (robotization) الإنسان مع فقد هويته الإنسانية تحت ضغط الطغيان التكنولوجي المتزايد ففي هذه الحالة ومن يدري قد يتحول الإنسان إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك دون أي أفق مفتوح يتطلع من خلاله إلى ما وراء عالم التلاعب التكنولوجي - ومن يدري فربما تنتظر البشرية جمعاء كوارث متنوعة في السنوات أو العقود القادمة نتيجة هذا التلاعب التكنولوجي في الجينات والهندسة الوراثية - ورداً على كل هذه

التحديات يرى سكاتولين أن التصوف، أو البعد الروحي في كل دين، هو المؤهل الأهم لإنقاذ البشرية من هلاك ذاتها شبه المحتوم عليها^(٥٣).

بالإضافة إلى ذلك يرى سكاتولين أن التصوف يجدد في الإنسان ذلك التساؤل الوجودي الأصل حول معنى وجوده وحياته. فالإنسان، هو الكائن المتساؤل من جوهره، فخارج هذا التساؤل الجذري الوجودي لا يمكنه أن يحافظ على هويته الإنسانية، كما أن هذا التساؤل الوجودي دعوة إلهية راسخة في أعماق وكيان الإنسان. كما أن المتصوفة الروحانيون (mystics) من كل دين أثبتوا أنهم قد ظلوا على الدوام كشافة متميزين عن باطن الإنسان وسره. فالإنسان ليس مجرد مجموع من التركيبات المختلفة من البيو-فيزيائية والسيكولوجية. إنما الإنسان يحمل في صميم طبياعته سرًا وجوديًا عميقًا هو أساس حقيقة هويته، سرًا يربطه بالله ولا يعرفه إلا هو^(٥٤).

فهذه الرؤية الصوفية هي بالفعل العلاج الحقيقي لمرض خطير من أمراض حضارتنا المعاصرة حيث يبني الإنسان تقدمه على حساب البيئة الطبيعية التي أصبحت في اعتبار هذا الإنسان المعولم مجرد مادة للاستهلاك بلا شروط ولا حدود، تحت رحمة أهوائه ونزواته الذاتية. ونتيجة لهذا التصرف الإنساني اللامسئول فقد تدهورت أوضاع البيئة الطبيعية أكثر فأكثر حتى لتبدو وكأنها وصلت إلى نقطة اللارجوع. فهناك حاجة ماسة إلى تغيير هذا التصرف البشري اللامسئول إذا أردنا إبقاءه على قيد الوجود. فهناك حاجة ملحة لاسترداد الحكمة الروحية الأساسية الواردة في شتى التيارات الروحية العالمية في كل الأديان لتوجيه التقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققه الإنسان المعاصر لصالح البشرية لا لدمارها.

ومن جانبنا نرى أن ما يقدمه سكاتولين في هذا الصدد يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالفلسفة الغربية المعاصرة التي ظهرت في العقود الأخيرة والمسماة بفلسفة: "العودة إلى الله" the return of God فبعد أن شهدت البشرية خيبة أمل نتيجة شتى

الأيديولوجيات الشمولية التي ظلت سائدة خلال القرنين المنصرمين على مستوى العالم، ظهرت فلسفة جديدة تدعو إلى "العودة إلى الله" بالمعنى الصوفي والروحي من أجل إنقاذ إنسانية الإنسان، ومن أبرز أنصار هذا التيار الفلسفي نجد المفكر الفرنسي الشهير أندريه مالرو André Malraux (ت: ١٩٧٦م) صاحب العبارة الشهيرة: إن القرن الحادي والعشرين إما أن يكون صوفيًا أو لن يكون^(٥٥).

وتلخص عبارة أندريه مالرو ما يعنيه سكاتولين بالضبط من أهمية العودة إلى التصوف والروحانيات- في القرن الحالي- ودخولها في حوار مباشر يهدف إلى تجنب سلبيات العولمة الشمولية من جانب، ووضع حد للتلاعب التكنولوجي بالبشر من جانب آخر، وصولاً إلى الهدف الأسمى الماثل في إعادة اكتشاف الإنسان المعاصر لذاته من خلال اللقاء مع الله.

ومن هذا المنطلق يرى سكاتولين أنه: على الإنسان أن يستعد لهذا اللقاء - مع الله- بتصفية قلبه وتنقية نفسه حتى يستطيع النور الإلهي أن ينعكس فيه. فليس للإنسان أن يتلاقى مع الله إلا حيث ومتى وكيف أراد الله أن يتقابل معه.... هذه هي المجالات أو قل الفضاءات (الصوفية/ الروحية) التي يمكن بل يجب أن يُجرى على أساسها حوار مثمر وفَعَال بين مختلف الأديان، وخاصة بين توجهاتها الروحية. والرجاء أن يصير هذا الحوار الروحي أساسًا متينًا وصلبًا يضمن للبشرية جمعاء التعاون في مواجهة قضاياها الوجودية الخطيرة التي تهدد البشرية المعاصرة ويسهل التعايش فيما بين أفرادها وجماعاتها في عالم تسود فيه أكثر فأكثر الأخوة والمحبة والسلام^(٥٦).

والجدير بالذكر أن ما يذكره سكاتولين لا يمكن النظر إليه على أنه تصورات فلسفية مثالية غير قابلة للتطبيق، فكثيرًا ما شكل "التصوف" و"الروحانيات"، فلسفة حوارية خاصة عبر التاريخ البشري. ولو أردنا البحث عن أمثلة تاريخية معاصرة لوجدنا على سبيل المثال - لا الحصر - الصوفي والمفكر المسلم الشهير سيد حسين نصر

(Bede Griffiths)، والراهب المسيحي بيد جريفيثس (Sayyed Hossein Nasr)، (ت ١٩٩٣)، الراهب البوذي ثيك نْهات هان (Thich Nhat Hanh)، ومعهم آخرون كثيرون يستحقون بالفعل لقب "رواد الحوار الروحي" بين الأديان، فقد بذلوا الكثير من جهدهم وقَدَّموا الكثير من الأعمال والإرشادات في هذا المجال^(٥٧).

ولو حاولنا البحث عن جذور مثل هذه الأفكار في التصوف الإسلامي لوجدنا العديد والعديد من الأمثلة الحية التي مازالت تمثل مصدر استلهام لنا في الوقت الراهن، فعند التحقق بمستوى الخبرة الروحية الصوفية الحقبة يصبح الروح هو القائد للإنسان الروحي، فأفكار المتصوفة المسلمين تكشف أنهم قد تركوا في كتاباتهم ومصنفاتهم صفحات عديدة من التأملات والاستنباطات العميقة حول "الدعوة الإلهية للإنسان" بوصفه متوجِّهاً نحو الله. فتلك التأملات الصوفية كثيراً ما تركز على قول مشهور عند الصوفية: "من عرف نفسه، عرف ربه"^(٥٨)، ثم تطورت هذه الفكرة أكثر وأكثر مع الشيخ الأكبر عند الصوفية: محيي الدين بن العربي (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) حيث تحدث عن فكرة "الإنسان الكامل" (Perfect Man)، حيث يُنظر للإنسان هنا بوصفه الكون الأصغر (Microcosm) الذي ينعكس فيه العالم الأكبر (Macrocosm)، ليصبح الإنسان المرآة التي تنعكس فيها الصفات الإلهية.

٤ - الخاتمة:

- أثر سكاتولين بشكل ملحوظ في المجال العام لـ "التصوف الإسلامي" بمصر والعالم العربي والإسلامي، وذلك من خلال نشره لكتاب: "التجليات الروحية في الإسلام"، ذلك الكتاب الذي عالج قضية التصوف استنادًا على منهجية "النصوص التاريخية" التي قدمت التصوف بـ "لسان المتصوفة"، فأثبت من خلاله "أصالة التجربة الصوفية في الإسلام"، معتبرها تراثًا روحيًا عظيمًا غير مقصور على المسلمين فحسب؛ بل لشتي الروحانيات في الأديان المختلفة. وانطلاقًا من ذلك: بدأ بإعادة توظيف مفهوم "التصوف" بطريقة جديدة في كتابه المعنون بـ "تأملات في التصوف والحوار الديني".

- أظهرت الدراسة مدى امتلاك سكاتولين لما يمكننا تسميته بـ "الإبداع التركيبي"، من خلال إعادة بناء المصطلحات والمفاهيم والأفكار من أجل إعادة توظيفها في "فلسفته الدينية"، ومن الملاحظ أن عملية إعادة البناء هذه لا تشتمل على إسقاطات أيديولوجية لا تحتلها المصطلحات والمفاهيم، وقد اتضح هذا الأمر بوضوح عند تحليلنا لمصطلح "التصوف" و"الحوار" اللذان وظفهما سكاتولين بطريقة أسماها هو بـ "فضاءات التلاقي" المؤدي إلى إعادة اكتشاف "هوية الإنسان كإنسان" من ناحية، واكتشاف "السر المطلق" في سير الإنسان المشترك مع الكل نحو الله تعالى من ناحية أخرى. كما يتضح أن الحوار في عالم الروحانيات يشكل أرضية خصبة رحبه للتقارب والتفاهم والتعاون بين أصحاب الديانات المختلفة في عصر العولمة، من أجل إعادة بناء "إنسانية جديدة" يمكنها التصدي لتحديات العصر والتصدي أيضًا لـ "القبليات المتطرفة" التي تخاطر بالتعايش السلمي بين البشر.

- نجح سكاتولين تارة في إعادة بناء "مصطلحات ومفاهيم" عدة بطريقة جديدة، وتارة أخرى في نحت "مصطلحات ومفاهيم" لم تكن مألوفة. ومن ضمن المصطلحات والمفاهيم التي تناولتها الدراسة- وينطبق عليها ما سبق- نجد: التسويقية العالمية (global marketing)، التكتل الثقافي (cultural massification)، التشظي الأخلاقي- الديني (moral-religious fragmentation)، القبليات المحدثّة (neo-tribalisms).
- يظهر من ثنايا الدراسة مدى تمتع سكاتولين بما يمكن أن نسميه بـ "السمو المتسامح"، كما خلت كتاباته من أي عنصرية دينية أو أيديولوجية أو سياسية. فإذا كان الرجل يعتز بمسيحيته، فهذا لم ينمعه من إعادة التنظير اللاهوتي والفلسفي لمفهوم "التعددية الدينية"، أستاذًا إلى مبدأ "قديس المستقبل" الغير مقتصر في دعواه على جماعته الدينية فقط. علاوة على أن أفكاره قد مثلت وبحق "ممارسة ملتزمة بالحوار الديني"، أو بمعنى أدق "البين- ديني"، الذي لم يقتصر في دعواه على "قطاع ديني محدد" بل إن دعوته تمثل دعوة للكل، من مختلف الأديان، سماها هو في عنوان كتابه بـ "ثورة روحية متجددة an ever new spiritual revolution".

الهوامش

(1) Giuseppe Scattolin, **Ibn al-Fârid's mystical poem al-Tâ'iyya whose title is: L'esperienza mistica di Ibn al-Fârid attraverso il suo poema al-Tâ'iyyat al-Kubrâ - un'analisi semantica del poema**, Roma, PISAI, 1987.

(2) Giuseppe Scattolin, **Esperienze mistiche nell'Islam**, 3 voll, EMI, Bologna, 2000.

(3) Giuseppe Scattolin, **L'Islam nella Globalizzazione**, EMI, Bologna, 2004.

(4) Giuseppe Scattolin, **Dio e Uomo nell'Islam**, EMI, Bologna, 2004.

(5) Giuseppe Scattolin, **Islam e Dialogo**, EMI, Bologna, 2004.

(٦) عمر بن الفارض، ديوان ابن الفارض "قراءات لنصه عبر التاريخ"، تحقيق جوزيبي سكاتولين، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٧) أ.د. أحمد الطيب (فضيلة شيخ الأزهر الشريف)، تصديره لكتاب: **التجليات الروحية في الإسلام "نصوص صوفية عبر التاريخ"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩.

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد حسن أنور، **الشعر الصوفي في الدراسات الاستشرقية "المستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين نموذجًا"**، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٨٤)، المجلد (٢٦)، أكتوبر ٢٠٢٢م، ص: ١٨٦١ - ١٩٢٢.

(٩) جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور، **التجليات الروحية في الإسلام "نصوص صوفية عبر التاريخ"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، (الطبعة الثانية عام ٢٠١٠م)، (الطبعة الثالثة عام ٢٠١٢م، مكتبة الأسرة)، (الطبعة الرابعة عام ٢٠١٤م). والجدير بالذكر: أنه تمت ترجمة هذا الكتاب من اللغة العربية إلى اللغة الإيطالية بدعم وتمويل من وزارة الثقافة الإيطالية، ونشرت هذه الترجمة عام ٢٠٢٢م.

(١٠) جوزيبي سكاتولين، مقالة بعنوان: **حديث في المحبة الإلهية لأكثر من ألفي صوفي**، وكانت هذه المقالة وصف لمحاضراته التي قدمها للطرق الصوفية هناك في الفترة ما بين ٢١-٢٣ ديسمبر ٢٠١١م.

https://dimmid.org/index.asp?Type=B_BASIC&SEC=%7B642CBB33-9036-4062-ADF8-7D863299DBA9%7D

(١١) جوزيبي سكاتولين، مقالة بعنوان: حديث في المحبة الإلهية لأكثر من ألفي صوفي، على الرابط التالي:

https://dimmid.org/index.asp?Type=B_BASIC&SEC=%7B642CBB33-9036-4062-ADF8-7D863299DBA9%7D

(١٢) أ.د. أحمد الطيب (فضيلة شيخ الأزهر الشريف)، تصديره لكتاب: التجليات الروحية في الإسلام، ص ٧-٨.

(١٣) جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور، الأبعاد الصوفية عند عبد الملك الخركوشي "دراسة ونصوص"، دار مصر المحروسة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.

(١٤) عفيف الدين التلمساني، شرح التائية الكبرى لابن الفارض، تحقيق: جوزيبي سكاتولين ومصطفى عبد السميع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.

(١٥) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني: من أجل ثورة روحية متجددة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.

(١٦) تصدير محمود عزب لكتاب: جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ص: ١٢-٤.

(١٧) مقدمة: عمار على حسن، لكتاب: تأملات في التصوف والحوار الديني، ص: ١٤-٢٤.

(١٨) للإطلاع على قائمة شبه كاملة بمجمل مؤلفات جوزيبي سكاتولين بلغات مختلفة، انظر: فهرس مكتبة معهد الآباء الدومينكان على الرابط التالي:

<https://opac.ideo-cairo.org/agent/3071>

(19) Annemarie Schimmel, **Mystical Dimensions of Islam**, The University of North Carolina, Chapel Hill (North Carolina), 1975.

(20) Alexander Knysh, **Islamic Mysticism- A Short History**, Brill, Leiden, 2000.

(٢١) أحمد حسن أنور، الدراسات الصوفية في الاستشراق المعاصر "المستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين أنموذجاً"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٨٥)، المجلد (٢٨)، يناير ٢٠٢٣م، ص ص: ١٥٣٣-١٥٧٨.

(٢٢) للإطلاع على إسهامات جوزيبي سكاتولين البحثية في دراسة الشاعر الصوفي المصري عمر بن الفارض راجع:

Scattolin, Giuseppe, *L'esperienza mistica di Ibn al-Fāriḍ attraverso il suo poema al-Tā'īyyat al-kubrā*, PISAI, Roma, 1988.

———, *L'expérience mystique de Ibn al-Fāriḍ à travers son poème al-Tā'īyyat al-kubrā*, in MIDEO 19 (1989) 203-223.

———, *The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ or the Realization of Self (Anā, I)*, in *The Muslim World*, LXXXII/3-4 (July-October, 1992) 275-286.

———, *Al-Farghānī's Commentary on Ibn al-Fāriḍ's Mystical Poem al-Tā'īyyat al-Kubrā*, in MIDEO 21 (1993) 331-383.

———, *More on Ibn al-Fāriḍ's Biography*, in MIDEO 22 (1995) 197-242.

———, *Realization of 'Self' (Anā) in Islamic Mysticism: The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ*, in *Mélanges de l'Université de St. Joseph, Dar El-Machreq, Beyrouth, Tome LIV (1995-1996)* 1999, 119-148.

———, *The Key Concepts of al-Farghānī's Commentary on Ibn al-Fāriḍ's Sufi Poem, al-Tā'īyyat al-Kubrā*, in *Journal of the Muhyiddin Ibn 'Arabi Society (JMIAS)*, Oxford, volume XXXIX, 2006, pp. 34-83.

(٢٣) حديث: "أعددت لعبادي الصالحين..." سنن الترمذي، الرقم ٣٢٩٢، حسن صحيح. ولهذا الحديث ما يقابله في الكتاب المقدس من آيات: انظر إلى رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنتوس، ٩/٢، سفر أشعيا النبي ٣/٦٤، سفر إرميا النبي ١٦/٣.

(٢٤) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢٥) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٩٥.

(26) Paul Nwyia, *Exegèse coranique et langage mystique*, Dar al-Machreq, Beirut, 1970, p. 4.

(27) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ٣٨٨.

(28) جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن، التجليات الروحية في الإسلام، ص ٢٧.

(29) انظر مادة (ح. و. ر): ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب- محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٣٨٣-٣٨٨.

(30) Martin Buber, *Das dialogische Prinzip*, Heidelberg, 1984 (5th ed.); Emmanuel Levinas, *Humanisme de l'autre homme*, Fata Morgana, Paris, 1972.

(31) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ٥٥-٥٦.

(32) كريستيان فان نسين، مسيحيون ومسلمون: إخوة أمام الله، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م، ص ٧٦.

(33) محمود رجب، فلسفة المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٩١.

(34) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ٥١.

(35) وثيقة الحوار والإعلان، الفقرة ٤٢، نقلا عن جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١١٤، ولمزيد من التفاصيل راجع:

Interreligious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995), Pauline, Boston, 1997.

(36) لمزيد من التفاصيل حول أبرز هذه الملامح الرئيسية راجع: جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص: ١٤٢-١٥٦، وقد حاولنا هنا وصفها باختصار وتصرف.

(37) لا تنفصل هذه الفكرة عما قدمه المفكر الأمريكي صمويل هنتجتون في كتابه "صدام الحضارات"، فإذا كانت الصراعات السابقة قائمة على أساس الأيديولوجيات الشمولية مثل (الماركسية والرأسمالية)، فإن الصراعات المستقبلية ستكون قائمة على أسس القيم العرقية والثقافية والدينية التقليدية، لمزيد من التفاصيل راجع:

Samuel Huntington, **The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order**, Simon & Schuster, New York, 1996.

(٣٨) هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي "دور الديانات في السلام العالمي"، ترجمة جوزيف معلوف، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٢١٣.

(٣٩) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٦٠.

(٤٠) لمزيد من التفاصيل حول موقف جوزيبي سكاتولين من قضية "التعددية الدينية"، راجع: محمد صفار، الأصوليات، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م، ص ٢١٧ - ٢٢٠.

(٤١) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٤٢) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٦٣ (بتصرف).

(٤٣) في هذا الموضوع راجع:

<https://www.elbalad.news/5487657>

<https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=2692819&Language=ar>

(٤٤) إريك جوفروا، المستقبل الروحاني للإسلام، ترجمة هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م، ص ٤٢ - ٤٣.

(٤٥) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٦٨.

(٤٦) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٧١.

(٤٧) يتفق إريك جوفروا مع ما ذهب إليه سكاتولين في هذا الصدد: "هناك دون شك طرائق إيجابية بالنسبة للمسلمين كي يستقبلوا الحداثة، ينبغي عليها أولاً أن يتذكروا أنها بالنسبة للكثيرين إيقصد الحداثة] كانت قد ولدت في المدينة عام ٦٢٢م بعد تأسيس الأمة التي أصبحت بسرعة حضارة، في الواقع أن الإسلام من خلال انطلاقته الأولى التأسيسية استطاع أن يشكل "عولمة" حقيقية عن طريق انتشاره السريع جداً في جزء كبير من العالم المعروف آنذاك.... راجع: إريك جوفروا، المستقبل الروحاني للإسلام، ص ١٦٨.

(٤٨) جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني، ص ١٧٦.

(٤٩) محمود رجب، *فلسفة المرأة*، ص ١٩١.

(٥٠) جوزيبي سكاتولين، *تأملات في التصوف والحوار الديني*، ص ١٧٨.

(٥١) القديس أوغسطينس، *مدينة الله*، ترجمة: يُوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ج ١، ص ١٤٥.

(٥٢) جوزيبي سكاتولين، *تأملات في التصوف والحوار الديني*، ص ١٨٢-١٨٣.

(٥٣) جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور، *التجليات الروحية في الإسلام*، ص ٣١-٣٢.

(٥٤) جوزيبي سكاتولين، *تأملات في التصوف والحوار الديني*، ص ٣٩٧.

(55) Jean Vernet, *Le XXI^e siècle sera mystique ou ne sera pas*, Paris, Presses Universitaires de France, Paris, 2002, p56.

(٥٦) جوزيبي سكاتولين، *تأملات في التصوف والحوار الديني*، ٣٩٨ (بتصرف).

(٥٧) لمزيد من المعرفة عن أفكار هؤلاء المفكرين، انظر:

Sayyed Hossein Nasr, *Sufi Essays*, George Allen & Unwin Publishers, London, 1972; Bede Griffiths, *A New Vision of Reality-Western Science, Eastern Mysticism and Christian Faith*, Fount, London, 1992; Thich Nhat Hanh, *Going Home: Jesus and Buddha as Brothers*, Riverhead Books, 1999.

(٥٨) محيي الدين بن العربي، *الرسالة الوجودية في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: من عرف نفسه فقد عرف ربه*، مكتبة القاهرة، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٥٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر والمراجع العربية:

- ١- أحمد حسن أنور، الدراسات الصوفية في الاستشراق المعاصر "المستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين أنموذجاً"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٨٥)، المجلد (٢٨)، يناير ٢٠٢٣م، ص ص: ١٥٧٨-١٥٣٣.
- ٢-، الشعر الصوفي في الدراسات الاستشراقية "المستشرق الإيطالي جوزيبي سكاتولين نموذجاً"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٨٤)، المجلد (٢٦)، أكتوبر ٢٠٢٢م، ص ص: ١٨٦١-١٩٢٢.
- ٣- إريك جوفروا، المستقبل الروحاني للإسلام، ترجمة هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.
- ٤- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب- محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩.
- ٥- جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور، الأبعاد الصوفية عند عبد الملك الخركوشي "دراسة ونصوص"، دار مصر المحروسة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.
- ٦- جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور، التجليات الروحية في الإسلام "تصوص صوفية عبر التاريخ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، (الطبعة الثانية عام ٢٠١٠م)، (الطبعة الثالثة عام ٢٠١٢م)، (الطبعة الرابعة عام ٢٠١٤م).
- ٧- جوزيبي سكاتولين، تأملات في التصوف والحوار الديني: من أجل ثورة روحية متجددة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.
- ٨- عفيف الدين التلمساني، شرح التائية الكبرى لابن الفارض، تحقيق: جوزيبي سكاتولين ومصطفى عبد السميع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.
- ٩- عمر بن الفارض، ديوان ابن الفارض "قراءات لنصه عبر التاريخ"، تحقيق جوزيبي سكاتولين، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٠- القديس أوغسطينس، مدينة الله، ترجمة: يُوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

- ١١- كريستيان فان نسين، مسيحيون ومسلمون: إخوة أمام الله، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م، ص ٧٦.
- ١٢- محمد صفار، الأصوليات، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.
- ١٣- محمود رجب، فلسفة المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٩١.
- ١٤- محيي الدين بن العربي، الرسالة الوجودية في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: من عرف نفسه فقد عرف ربه، مكتبة القاهرة، القاهرة، بدون تاريخ نشر.
- ١٥- هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي "دور الديانات في السلام العالمي"، ترجمة جوزيف معلوف، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

ثانيًا - المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Knysh, Alexander, **Islamic Mysticism- A Short History**, Brill, Leiden, 2000.
- 2- Schimmel, Annemarie, **Mystical Dimensions of Islam**, The University of North Carolina, Chapel Hill (North Carolina), 1975.
- 3- Griffiths, Bede, **A New Vision of Reality-Western Science, Eastern Mysticism and Christian Faith**, Fount, London, 1992.
- 4- Levinas, Emmanuel, **Humanisme de l'autre homme**, Fata Morgana, Paris, 1972.
- 5- Scattolin, Giuseppe, **Islam e Dialogo**, EMI, Bologna, 2004.
- 6-, **L'Islam nella Globalizzazione**, EMI, Bologna, 2004.
- 7-, **L'esperienza mistica di Ibn al-Fāriḍ attraverso il suo poema al-Tā'iyyat al-kubrā**, PISAI, Roma, 1988.
- 8-, **L'expérience mystique de Ibn al-Fāriḍ à travers son poème al-Tā'iyyat al-kubrā**, in MIDEO 19 (1989) 203-223.
- 9-, **More on Ibn al-Fāriḍ's Biography**, in MIDEO 22 (1995) 197-242.

- 10-, **Realization of 'Self' (Anā) in Islamic Mysticism: The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ**, in *Mélanges de l'Université de St. Joseph, Dar El-Machreq, Beyrouth, Tome LIV* (1995-1996) 1999, 119-148.
- 11-, **The Key Concepts of al-Farghānī's Commentary on Ibn al-Fāriḍ's Sufi Poem, al-Tā'iyyat al-Kubrā**, in *Journal of the Muhyiddin Ibn 'Arabi Society (JMIAS), Oxford, volume XXXIX, 2006, pp. 34-83.*
- 12-, **The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ or the Realization of Self (Anā, I)**, in *The Muslim World, LXXXII/3-4 (July-October, 1992) 275-286.*
- 13-, **Esperienze mistiche nell'Islam**, 3 voll, EMI, Bologna, 2000.
- 14-, **Ibn al-Fāriḍ's mystical poem al-Tā'iyya whose title is: L'esperienza mistica di Ibn al-Fāriḍ attraverso il suo poema al-Tā'iyyat al-Kubrā - un'analisi semantica del poema**, Roma, PISAI, 1987.
- 15-, **Al-Farghānī's Commentary on Ibn al-Fāriḍ's Mystical Poem al-Tā'iyyat al-Kubrā**, in *MIDEO 21 (1993) 331-383.*
- 16-, **Dio e Uomo nell'Islam**, EMI, Bologna, 2004.
- 17- **Interreligious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995)**, Pauline, Boston, 1997.
- 18- Vernet, Jean, **Le XXI^e siècle sera mystique ou ne sera pas**, Paris, Presses Universitaires de France, Paris, 2002.
- 19- Buber, Martin, **Das dialogische Prinzip**, Heidelberg, 1984 (5th ed.).
- 20- Nwyia, Paul, **Exegèse coranique et langage mystique**, Dar al-Machreq, Beirut, 1970.
- 21- Huntington, Samuel, **The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order**, Simon & Schuster, New York, 1996.

- 22- Nasr, Sayyed Hossein, **Sufi Essays**, George Allen & Unwin Publishers, London, 1972.
- 23- Hanh, Thich Nhat, **Going Home: Jesus and Buddha as Brothers**, Riverhead Books, 1999.

ثالثاً - مواقع الأنترنت:

- 1- https://dimmid.org/index.asp?Type=B_BASIC&SEC=%7B642CBB33-9036-4062-ADF8-7D863299DBA9%7D
- 2- <https://opac.ideo-cairo.org/agent/3071>
- 3- <https://www.elbalad.news/5487657>
- 4- <https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=2692819&Language=ar>
- 5- <https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=2692819&Language=ar>